



كلمات السيد المسيح
على الصليب

من محاضرات
صاحب القداسة
البابا شنودة الثالث



كلمات السيد المسيح على الصليب

من محاضرات
صاحب القداسة
البابا شنودة الثالث

أبريل ١٩٧٥
برموده ١٦٩١



صاحب القداسة

البابا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

X كلمات المسيح على الصليب X

- ١ — يا ابتاه اغفر لهم ، لانهم لا يدرون ماذا يفعلون ١٢
 - ٢ — اليوم تكون معي في الفردوس ٢٣
 - ٣ — هو ذا ابنيك . . هو ذا أمك ٣٧
 - ٤ — إلهي إلهي لماذا تركتني ٤٢
 - ٥ — أنا عطشان ٤٨
 - ٦ — قد أكمل ٥١
 - ٧ — يا ابتاه ، في يدك أستودع روحي ٥٥
- ٥٩ فاعلية هذه الكلمات

مقدمة

إنها سبع كلمات ، لفظ بها الرب على الصليب ، في آلامه ...
وكانت كلها حياة .. لنا .

لم يتكلم أثناء المحاكمات ، ولا أثناء التعذيب والاستهزاء الا نادرا .
كان يغلب عليه الصمت ... لقد تنازل عن حقه الخاص ، وكرامته
الخاصة . فالحجة لا تطلب ما لنفسها ، (١ كو ١٣ : ٥) .

أما على الصليب ، فتكلم ، حين وجب الكلام . تكلم من أجلنا ،
لنفعنا وخلصنا . وكان لكل كلمة هدف ومعنى . ولكل كلمة تأثير ..
وسندخل في أعماق كل هذا بعد حين .. على أننا نلاحظ على كلماته
بوجه عام عدة ملاحظات ، منها :

نلاحظ في كلمات المسيح على الصليب عنصر العطاء .. عجيب أنه
— وهو على الصليب — في مظهر الضعف والانحزام كان يعطي ...
أعطى لصالبيه المغفرة ، وأعطى للص اليمين الفردوس ، وأعطى للعدراء
إبناً روحياً ورعاية واهتماماً ، وأعطى ليوحنا الحبيب بركة العذراء في
بيته . . . وأعطى للآب ثمن العدل الإلهي الذي يتطلبه ، وأعطى للبشرية
كفارة وفداءا ... وأعطانا أيضاً اطمئنانا على تمام عمل الخلاص ...
أعطى لكل أحد . وهو الذي لم يعطه أحد شيئاً ... قدم للبشر كل
هذا ، في الوقت الذي لم يقدموا له فيه سوى مرارة واخل ...

وكلمات المسيح السبع ، كان اولها و آخرها موجها الى الآب .
كانت أول كلمة موجهة إلى الآب في قوله « يا أبتاه ، اغفر لهم ، .
وآخر كلمة موجهة إلى الله الآب في قوله « يا أبتاه في يدك أستودع
روحي ، . وبين الأول والآخر كانت هناك كلمتان أيضاً موجهتين
إلى الآب : إحداهما « إلهي إلهي لماذا تركتني ، . والثانية « قد أكمل ، .
ومع أنها قد تكون إعلانا عاما ، إلا أنها تحمل خطابا إلى الآب أي
« العمل الذي أعطيتني لأعمله قد أكملته ، ... »

غالبية كلمات المسيح إذن أو نصفها ، كانت موجهة إلى الآب .
وكانت تحمل طمأنينة للبشر .

ونلاحظ أنه في كلامه مع الآب استعمل التعبيرين : « يا أبتاه »
و « الهى » : في عبارة « يا أبتاه ، رد على الذين كانوا يتحدثونه قائلين
« إن كنت ابن الله ... إنزل من على الصليب ، . فأثبت أنه ابن الله .
ولكنه لم ينزل من على الصليب ، وإنما رفع الصليب إلى علو السماء ... »

في عبارة يا أبتاه أثبت لاهوته ، وفي عبارة « الهى » أثبت ناسوته .
ومن كليهما معاً أعلن أنه الإله المتأنس ، الله الذى ظهر فى الجسد
(١ تى ٣ : ١٦) . في عبارة « يا أبتاه ، شجب الهرطقة الأريوسية التي
أنكرت لاهوته في القرن الرابع . وفي عبارة « إلهي ، شجب هرطقة
أوطيخا الذى أنكر ناسوت المسيح في القرن الخامس ... في الأولى
تكلم كابن الله ، وفي الثانية تكلم كابن الإنسان ، كنائب عن البشر ... »

ولم يتكلم على الصليب مع الآب فقط ، وإنما مع البشر أيضاً ...
مع القديسين ممثلين في السيدة العذراء وفي يوحنا الرسول ... ومع
الأشرار التائبين ممثلين في اللص اليمين ...

وكانت كلماته كلمات بركة ونعمة ... لقد كانت ساءة للخلاص .
وكانت تليق بها البركة . لذلك تكلم بكلام المغفرة والخلص والفرح ،
وبكلام الخيبة والنعمة .. وعلى الصليب لم يلعن أحداً ، ولم يعاقب أحداً .
على الرغم من كل الذي وقع عليه ... إنه لم يأت ليهلك العالم ، بل
ليخلص العالم .

ونلاحظ في كلماته على الصليب ترتيباً خاصاً لا تخفى حكمته ...
غيره أولاً ثم نفسه . ونفسه من أجل غيره . بدأ أولاً بطلب المغفرة
للناس ، لأنه على الصليب بدأت فاعلية دمه المقدس في الغفران ... وإذا
فتح باب المغفرة ، جاءت الكلمة الثانية الخاصة بفتح الفردوس . لأنه
إذا يدفع الدم ثمناً للمغفرة يمكن فتح الفردوس ...

نلاحظ أيضاً أن السيد المسيح ذكر أعداءه أولاً ثم أحبائه . كلامه
الأول خاص بصاليبيه ، ثم باللص ، ثم بالعذراء ويوحنا ...

وفي حديثه مع الله الآب ، كبه أولاً كأب ثم كإله ... أولاً كالابن
المحبوب الكائن في حضن الآب منذ الأزل (يوحنا ١ : ١٨) ، ثم كابن
الإنسان المولود في ملء الزمان ...

كلماته الثلاث الأولى كانت خاصة بالمغفرة والرعاية . وكلماته
الأربع الأخيرة كانت إعلاناً لعمل الفداء وإقامة :

فعبارة « إلهي إلهي لماذا تركتني » ، تعني أن الآب قد تركه ليدفع
ثمن الفداء وتعني آلامه النفسية من جهة تحمل غضب الله على خطايا
البشر . وعبارة « أنا عطشان » ، تعني إعلاناً للآلام الجسدية من أجل
البشر . وكلا العبارتين تعنيان أنه يدفع الثمن . وعبارة « قد أكل » ، فيها
طمأننة للإنسان أن الثمن قد دفع . وعبارة « في يديك أستودع روحي » ،
تعني الموت ثمن الخطية ، وبه يكون قد تم الخلاص ... إذن فهذه
العبارات الأربع الأخيرة تحمل طمأنينة للبشر من جهة فدائهم ...

ونلاحظ أن الكلمتين الأخيرتين فيهما هدف الفرح والانتصار ...

كما أعلن الرب أمله الذي به تم الفداء . أعلن أيضاً فرحه بإتمام الفداء .
فعبارة « قد أكل » تحمل معنى أن كل شيء خاص بالفداء قد تم .
لقد فرح الرب بإتمام عمله ولم يسمح لشيء أن يعوقه . ونفس الكلام
نقوله عن عبارة « في يديك أستودع روحي » . بهاتين العبارتين أعلن
هزيمة الشيطان . لقد انتهت المعركة . واستطاع الرب بالموت أن يبيد
سلطان الموت ... وهتف هتاف الفرح والانتصار .

**كل هذا يعطينا فكرة أن المسيح على الصليب، كان يعمل، لاجلنا...
ليس فقط عمل الفداء . وإنما كان على الصليب - كعهده - يصنع خيراً ...**

كان معلما ، وكان يعلن إعلانات هامة لأجل الخلاص ...
في كلمته الأولى أعطانا تعليما عمليا عن التسامح والمغفرة ومحبة
الاعداء ... وفي كلمته الأخيرة وفي يدك أستودع روحي ، أعطانا
تعلما عن خلود النفس ، وانتقال الروح البارة بعد الموت إلى الله .
وفي كلمته الثالثة أعطانا تعليما عن الرعاية الحقة ، وعن التنفيذ الصادق
العملي للوصية الخامسة ... بإكرامه لأمه .
ما أكثر التعاليم والتأملات التي نجدتها في هذه الكلمات السبع ،
التي يرمز عددها إلى الكمال ... فلننتقل الآن إليها ... وندخل إلى
أعماقها واحدة فواحدة .



الكلمة الأولى
يَا أَبَتَاهُ أَغْفِرْ لَهُمْ
لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون (لوقا ٢٣: ٣٤)

المسيح الهنا الحنون - وهو في عمق الآلام على الصليب - كان منشغلاً
بغيره لا بنفسه . لم يذكر آلامه ولا تعبته ولا جراحاته . لم يأت به الآلام
السياط على ظهره ، ولا بارآسكان المسامير في يديه وقدميه ، ولا بوخز
الشوك في جبينه ورأسه ، ولا بجسده الممرض المنهك ... وإنما ترك
كل ذلك جانباً ، وكان كل ما يشغله هو محبته للبشر وأول ما فكر ،
فكر في إنقاذ كارميه وصالييه ... وهكذا كانت أول كلمة قالها على
الصليب هي يا أبته اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون ،
(لو ٢٣ : ٣٤) ...

وقد اهتم الرب بأعدائه أولاً ، قبل أحبائه وقبل نفسه ...
فغفر أولاً لصالييه ثم غفر للمص الذي عيره أولاً وآمن أخيراً . ثم أبدى
اهتمامه بأمه . وبعد كل ذلك تكلم عن نفسه ...

يا أبته اغفر لهم ، قالها وهو في منتهى الألم الجسماني ... كان حقاً
في عمق المتساماة من هؤلاء الذين يطلب لهم الغفران! ... ولكن محبته لهم ،
كانت أكثر من عداوتهم له ، عداوتهم التي لا توصف ، من عمق
بشاعتها ...

ومع ذلك لم يطلب لهم الغفران فقط ، وإنما أيضا التمس لهم عذرا !
هؤلاء الذين كانوا لا يجسرون أن يفكروا في عذر لأنفسهم ، والذين
صاحروا في جرأة مخبولة ودمه علينا وعلى أولادنا ، (متى ٢٧ : ١٥) ،
هؤلاء استطاع المصلوب المجروح منهم أن يوجد لهم عذرا . فقال ولأنهم
لا يدرون ماذا يفعلون ، ... ما أعجب الرب في محبته : إنه لم يصب
عليهم اللعنات ، ولم يطلب النقمة منهم . بل أيضا لم يصمت وبأخذ
منهم موقفاً سلبياً ... وإنما كان حبه إيجابياً من ناحيتهم ، فطلب لهم
المغفرة ، وقدم عنهم عذرا ، مدافعاً عنهم أمام الآب السماوي ، معلناً أن
خطيئتهم هي مجرد خطية جهل ...

إننا نحن البشر نقول أن فعلناهم هي مجموعة من الخطايا البشعة ...
أنها خطايا حسد وغيرة وكرهية ودس وورقبة من الرؤساء الدينيين ،
وخطايا اندفاع ونكران جميل من الشعب الجاحد ، وخطايا قسوة
واستهزاء وشتائم واعتداء وإهانة من الجند وخدام الكهنة ، وخطايا
جبن وظلم ولا مبالاة من بيلاطس . وفوق كل ذلك هي خطية قتل ،
وخطية تعذيب ، وخطايا كذب وتلفيق في المحاكمة ... أما المصلوب
الحنون الطيب فلم يذكر سوى أنها خطية جهل ، ولأنهم لا يدرون
ماذا يفعلون ، ! . ما أعجب طيبة قلبك أيها المحبوب المصلوب إن أعماق
هذه الطيبة هي فوق إدراكنا ...

إن السيد المسيح في غفرانه لصالحيه ، قد قدم للأهلياء تنفيذ وصاياه .
لقد قال من قبل ، أحبوا أعداءكم ، ... أحسنوا إلى مبغضيك ، وصلوا

لأجل الذين يسيثون إليكم ، . وها هو ذا ينفذ بنفسه ما سبق أن أوصى به الناس . أن الرب لا يعطى وصايا للآخرين ، ولا ينفذها بنفسه . لقد نفذ هذه الوصية « محبة الأعداء » ، ونفذها عملياً ، في عمق وفي مثالية عجيبة ... فغفر لصاليه ومضطهديه والسيثين إليه ...

وانت ايها الاخ المبارك ، ما هو موقفك من هذه الآية « يا ابتاه اغفر لهم » ؟ ... يا ليتك عندما تسمع هذه العبارة في يوم الجمعة الكبيرة ، وعندما تتذكرها في أى وقت ، تقول في صدق : « وأنا أيضاً يارب ، سأفعل مثلك : كل الذين أبغضوني وأغضبوني ، كل الذين أتعبوني واضطهدوني ، كل الذين ضايقوني وأساءوا الى ، اغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » ... وهكذا يا أخى تشترك مع المسيح في عمله وفي حبه ...

ماذا تستفيد أنت ان كان المسيح قد غفر لأعدائه وانت لم تغفر؟!
ماذا تستفيد ان كان المسيح قد أحب أعدائه بينما أنت لا تحب أعدائك ، ولا تسامحهم ؟! ماذا تستفيد ؟ ... إذن فأنت لم تشترك مع المسيح في عمله ، ولم تسلك في صفاته ...

اعلم اذن ان المسيح قد غفر لنا ، لكى نغفر نحن أيضاً لغيرنا ، ونتمتع ببركة المغفرة .» التي تأتي إلينا ، والتي تصدر منا ...
كلما نتذكر اساءات الناس إلينا ، فننقل نحن أيضاً من أعماق أعماقنا « اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » . غير أننا عندما نقول هذا ، يختلف موقفنا عن موقف السيد المسيح : انه يقول : **يا ابتاه اغفر لهم ،**

لأنى قد دفعت ثمن خطيئتهم . من أجل هذا لم يبق عليهم دين . أنا قد وفيت العدل الإلهى ، وسددت كل ديونهم فاغفر لهم إذن . هو ذا أنا أموت عنهم . هو ذا أنا أموت عن الذين صلبونى ، وعن الذى يحبونى ... وعندما أقول « اغفر لهم » ، لست أقصد هؤلاء فقط ، وإنما كل الذين يحتمون فى دى ... كل الخطاة الذين تابوا من آدم إلى آخر الدهور ... اغفر لهم ، لأنى لهذا جئت (يو ١٢ : ٢٧) ...

واحد من هؤلاء الذين انطبقت عليهم عبارة « لا يدرون ماذا يفعلون » ، هو القديس العظيم الانبا لونجينوس الجندى الذى طعن المسيح بالحرية ... هذا القديس تعيد له الكنيسة المقدسة فى يومين : فى اليوم الثالث والعشرين من شهر أبيب ، وفى اليوم الخامس من شهر هاتور ... انه طعن المسيح بالحرية ، ولم يكن يدري ماذا يفعل ، فغفر الرب له . ولم يكتف بهذا ، بل اقتاده إليه أيضاً ، فأمن وبشر بالمسيحية فى بلاد كبادوكية ، ونال أكليلا الشهادة على يد طياريوس قيصر ، وأظهر الرب كرامته بمعجزات بعد موته ...

هناك قديس آخر تنطبق عليه عبارة « لا يدرون ماذا يفعلون » ، كان وحشاً ضارياً فى محاربة المسيحيين وفى تعذيبهم وقتلهم . إن قلنا إن أكثر انسان اضطهد المسيحيين هو الامبراطور ديوقليديانوس ، فان هذا كان الساعد الأيمن لديوقليديانوس فى عملية التعذيب ... كان جباراً مرعباً ، ولم يوجد فى كل ولاية الامبراطورية الرومانية من دو أشد منه وأعنف ... كانوا يرسلون إليه كل من يتعب الولاية فى تعذيبه

من المسيحيين ، فيعامله بقسوة وبفنون جديدة في التعذيب لا يعرف
للمرحمة اسما ولا معنى ...

**هذا الرجل هو القديس اريانوس والى انصنا (*) الذى سفك دماء
عشرات الآلاف من المسيحيين ، بل قتلهم فى وحشية ، وهو لا يدري
ماذا يفعل ... وظل هكذا لا يدري حتى جذبه المسيح إليه ، فأمن به ،
واستشهد على اسمه فى اليوم الثامن من شهر برمهات على يد الامبراطور
ديوقليديانوس وكتب اسمه فى السنكسار ، وأصبحت الكنيسة تحتفل بعيدة
مثل باقى القديسين العظماء ...**

**شاول الطرسوسى كان ايضا واحدا من الذين لا يدرون ماذا يفعلون ...
كان يقتحم الكنائس ويقتاد رجالا ونساء إلى السجن (أع ٨ : ٣) ...
وقد اشترك فى اضطهاد القديس استفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء
(أع ٧ : ٥٨) ... وكان مرعباً ومخيفاً . . ومع ذلك لم يكن يدري
ماذا يفعل ... وظل هكذا حتى ظهر له رب المجد فى الطريق إلى دمشق ،
ووجده اناءاً مختاراً ... واجتذبه إليه فأمن ، واعتمد ، وصار اسمه
بولس الرسول ، وبشر باسم المسيح ، وتعب أكثر من جميع الرسل ،
ووقعت عليه اضطهادات وأتعاب أكثر من جميعهم ، ونال أكليل الشهادة
على يد الامبراطور نيرون ، وأصبح عموداً من أعمدة المسيحية ، ومنارة
من مناراتها العالية المضيئة ... ترى ماذا كان سينتهى إليه مصير قديسنا**

(*) هى حالياً قرية الشيخ عبادة مركز ملوى بمحافظة المنيا .

بولس ، لولا قول المسيح الخنون « يا ابتاه اغفر لهم ، لانهم لا يدرون
ماذا يفعلون ، ... »

« يا ابتاه اغفر لهم ، . أنا لا أريد أن أنتقم من أحد ... لا أريد
أن أعاملهم بالمثل . إن بعضاً من هؤلاء الذين صلبوني انا ماضى لاعد لهم
مكانا . ومتى أعددت لهم مكانا ، آتى و آخذهم إلى ، حتى حيث أكون
أنا يكونون هم أيضاً (يو ١٤ : ٣) . »

عل ان قول السيد المسيح « يا ابتاه اغفر لهم » ، لا تعنى انه غفر
جميع صالبيه على الاطلاق ، بلا استثناء ... فلا يمكن أن يتمتع بالمغفرة -
من صالبيه وغير صالبيه ، إلا من ينطبق عليهم شرطان جوهريان ، هما
الإيمان والتوبة ... لأنه بدون الإيمان والتوبة ، لا يمكن أن ينال أحد
خلاصاً ولا مغفرة ...

يا ابتاه اغفر لهم . للذين يؤمنون ويتوبون .

لقد قال الكتاب « هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد ... »
أحب العالم كله ، وبذل الابن لأجل العالم كله . ولكن هل تمتع العالم
كله بالخلاص ؟ كلا ، فخلاص المسيح لم ينله إلا « كل من يؤمن به ، ... »
لذلك قيل في باقى الآيه « لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له
الحياة الأبدية ، (يو ٣ : ١٦) . هذا هو شرط الايمان ... أما عن
شرط التوبة فيقول عنه الرب « إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون ،
(لو ١٣ : ٣) . »

وهكذا فإن عبارة « اغفر لهم » ، لا تعنى المغفرة ليهود اليوم ...
لأنهم ما يزالون باقين على يهوديتهم ، فى إنكارهم للمسيح ، وفى إنكارهم
لبتولية العذراء ، وفى اعتقادهم أن يسوع الناصرى الذى ولد منذ ١٩٧٥
سنة كان ضالاً ومضلاً ، فاستحق أن يصلبه آبائهم . وبهذا يشتركون فى
خطية آبائهم بموافقتهم لهم على ما فعلوه ... ويستحقون الدينونة .
أما إن تابوا وآمنوا ، وصاروا مسيحيين ، فإن الرب يغفر لهم ،
وعندئذ لا يدعون يهوداً بعد ...

إن السيد المسيح قد قدم خلاصاً للعالم كله . ولكن لا يتمتع بهذا
الخلاص سوى المؤمنين التائبين السائرين فى طريقه ، المتمتعين بعمل الروح
القدس فى أسرارهم .

هؤلاء المؤمنون التائبون ، اغفر لهم يا أبته ... أما الباقون الذين
أصروا على عنادهم ، فهؤلاء قال لهم المسيح « حيث أكون أنا ، لا تقدر
أنتم أن تاتوا » (يوحنا ٧ : ٢٤) . وقال لهم أيضاً « ستطلبوننى وتموتون
فى خطيتكم ... إن لم تؤمنوا انى أنا هو ، تموتون فى خطاياكم ، ...
ثلاث مرات فى الإصحاح الثامن من الإنجيل لمعلننا يوحنا الرسول يقول
لهم « ان لم تؤمنوا بى ، تموتون فى خطاياكم » (يوحنا ٨ : ٢١ ، ٢٤) .
أما الذين فيهم بارقة أمل ، ولو من بعيد ، فهؤلاء مهما أخطأوا إليه
ومهما اضطهدوه ، ومهما طردوه ، فإنه يظل يردد فى سمع الآب ، تلك
العبارة الجميلة « يا أبته اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » .

من بين هؤلاء الذين طردوه ورفضوا ان يدخل تخومهم ، اهل السامرة .
وتحمس تلميذاه يعقوب ويوحنا ، وطلبوا إليه أن يأمر فتنزل نار من
السماء فتفنى هؤلاء الذين طردوه . أما هو فأجاب تلميذه قائلاً : لستما
تعلمان من أى روح أنتما . لأن ابن الانسان لم يأت ليهلك أنفس الناس
بل ليخلص ، (لو ٩ : ٥٢ - ٥٦) . هذا ما قاله لتلميذه . أما للآب .
فلا شك أنه قال نفس العبارة « يا أبته اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا
يفعلون ، ... وهكذا صبر عليهم حتى عرفوه ، فأحبوه ، وآمنوا به
(يو : ٤٢) .

ان عبارة « يا أبته اغفر لهم » تحمل عمق الحب ، وعمق المغفرة .
ولكى تسبر أعماقها ، تصورها بالنسبة إلى نفسك ...

قد تستطيع أن تغفر لإنسان أتعبك ... أما أن يلفق إنسان حولك
تهماً ، ويحكم عليك ظلماً ، ويشير عليك الشعب والحكام ، ويهزأ بك ،
ويجلدك ، ويعلقك على صليب ، ويدق المسامير في يديك وقدميك ...
ثم بعد ذلك - وأنت في عمق الألم - تستطيع أن تغفر له ، وتصلي لأجله ،
وتدافع عنه ... فهذا يحتاج إلى حب فوق الطاقة ، وفوق العادة ...

كثيرون آمنوا بالمسيحية من أجل هذه العبارة وحدها ...
يا أبته اغفر لهم ... لأنى من أجل هذا جئت ... هذا هو العزاء

الذى يفرح قلبي وسط كل آلام الصليب ، وكل آلام الهزم ، وكل
آلام التخلي ...

لأنهم مغلوبون من خطاياهم ، مغلوبون من عمل إبليس فيهم ،
ومغلوبون أيضاً من ضعف إرادتهم ومن جهلهم شعورى نحوهم ، هو
شعور إشفاق .. لست أذكر ما يعملونه فى ، فالمحبة لا تطلب ما لنفسها ،
إنما أذكر أمامك حاجتهم إلى المغفرة ...

**اغفر لهم ، لأنك بهذا تفرحنى ، اذ اكون قد تمت رسالتى
وحققت هدفى ...**

حقاً ، لماذا تجسد المسيح ؟ أليس من أجل أن الآب يغفر
لهؤلاء ؟ . لماذا أخذ شكل العبد ، وصار فى الهيئة كإنسان (فى ٢: ٧) ؟
أليس لكى يغفر لهم ؟ ... لماذا حمل خطايانا ؟ لماذا علق على خشبة ؟
كل هذا بلا شك لكى يغفر لهم ...

**ان هذه العبارة هى بداية عهد الغفران ، ليس الغفران الموعود به ،
ولنما الغفران المدفوع ثمنه ... إنها إعلان بأن العدل الإلهى قد استوفى
حقه على الصليب ... إنها صك ... إنها حق المشتري الذى دفع الثمن
ويريد أن يستلم ... أنه اشترانا بدمه ، وبقي أن يأخذنا معه ، لكى
ندخل الفردوس معه ، ونتمتع بالملكوت معه ، وحيث يكون هو
نكون نحن أيضاً ...**

وكأنه بهذه العبارة يقول للآب : ماذا تريد من هؤلاء ؟ ما هو دينك عليهم ؟ أليس هو الموت ، أجرة الخطية ؟ هوذا أنا أموت عنهم . هوذا أنا أوفى دينك عليهم . أطلقهم إذن من حكم الموت . إنك تأخذ الآن حقلك بالتمام ... وبعد قليل سأقول لك « قد أكمل » ، فاغفر لهم ...

ان السيد المسيح بهذه العبارة يعلن انتصاره على الشيطان .
كل جهاد الشيطان كان في إبعاد الناس عن الله ، وفي إبعادهم عن المغفرة ، وفي عرقلة طريق الخلاص قد فتح للناس ، واستطاع الرب المجروح لأجل معاصينا أن يرش دمه على الخيمة فيقدمها ...

لقد انتصرت محبة على كراهية الناس ، وانتصر تواضعه على كبرياء الشيطان ...

كانوا يقولون له إن كنت ابن الله انزل من على الصليب . أما هو فأعلن أنه الإبن بقوله « يا أبته » ، ولكنه وهو الإبن سيبقى على الصليب ، لكي يغفر لهم . ولو نزل من على الصليب ما استطاع أن يقول ، اغفر لهم ... الآن استطاعت ذبيحة الحب أن تؤدي عملها في المغفرة ...

عبارة يا أبته اغفر لهم ، هي العبارة التي كان يشتمق لسماعتها كل الراقدين على رجاء من بدء الخليقة كلها . إن كان هكذا قد أحب

الرب صاليه ومقاوميه وغفر لهم ، فكم تكون بالحرى محبته لاجبائه
ومريديه ، وكم يكون عمق غفرانه وسمو مكافاته ...

لأنها عبارة أذهلت كل الجنود المحيطين بالصليب . وأذهلت أيضاً
اللعن اليمين الذى توجه إليه الرب بكلمته الثانية ، اليوم تكون معى
فى الفردوس ، ...



يا أبناة اغفر لهم

الكلمة الثانية
الحق أقول لك
إنك اليوم تكون معي في الفردوس (لوقا: ٢٣: ٤٣)

أول انسان خاطبه الرب على الصليب ، كان هو هذا اللص ...
لم يبدأ حياته باراً ، بل صحبته الخطية حتى إلى الصليب . وكان وهو
مصلوب يعير الرب ، مشتركاً في ذلك مع اللص الآخر (متى ٢٧: ٤٣) .
ثم تغير فجأة ودخل الإيمان إلى قلبه ، فانقلب من معير إلى مدافع ...
ومن مستهزئ إلى رجل صلاة وإيمان .

كيف وصل الى هذا الايمان، والى هذا التجديد؟ كيف آمن بالرب،
والرب في آلامه لا في مجده ، في استهزاء الناس به وليس في سعيه إليهم
طلباً للشفاء والبركة؟

لعل مغفرة الرب لصالبيه ، أثرت في اللص القاسى القلب هذا التأثير
العميق . وإذا بلطف الله يغلب قسوته . . أو لعله تأثر من وجه المسيح
نفسه ، من ملامحه ، ومن نظراته ، ومن حنان وعمق صوته . ولعل
الرب نظر إليه ، فأذاب قلبه ... لسنا ندري ...

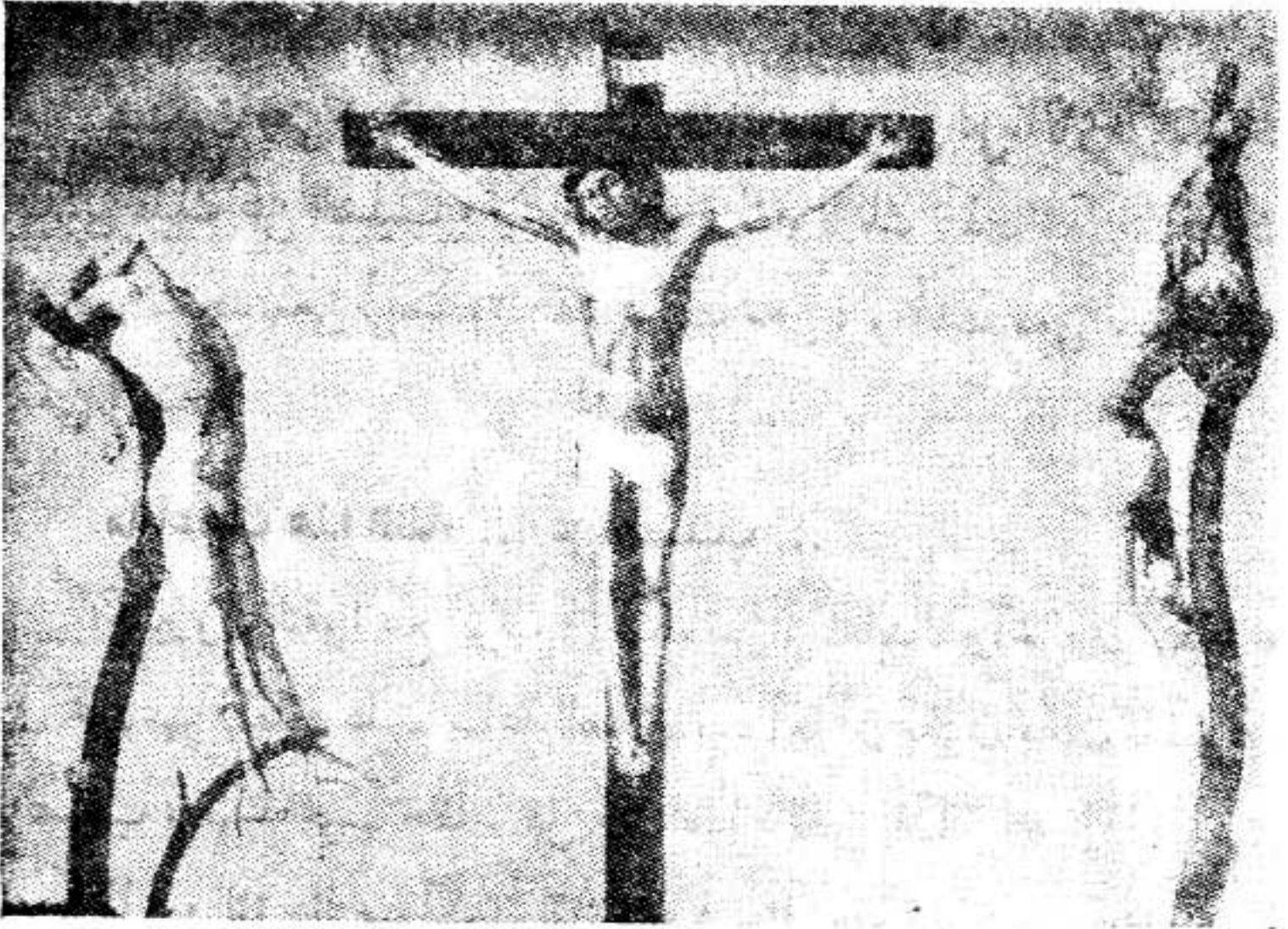
أو لعل هذا اللص كان عنده استعداد داخلي للتوبة ، كان أرضاً
صالحة لم تجد بعد من يفلحها ، وينقيها من أشواكها ، ويبذر فيها البذار
الصالحة ، فتنبت نباتاً حسناً ...

لقد استطاع هذا اللص أن يصل إلى المسيح مع أصحاب الساعة الحادية عشرة ، أو في الساعة الثانية عشرة . **فصل صلاة ، واستجيب** بأسرع ما تكون الاستجابة ... كثيرون كانت لهم صلوات طويلة ، بابتهالات وطلبات وتضرعات وعرق ودموع ... أما هذا اللص فعبارة واحدة ، قصيرة ، مركزة عميقة ، استطاع أن يحصل على كل شيء ... وأصبحت صلاته هذه مصدر تأملات الكثيرين ، ترددها الكنيسة كلها معه ، وقد تعلمتها من هذا اللص العجيب ...

هذا اللص الوحيد الذي أجابه المسيح بسرعة ، بينما غيره كثيرون لم يرد عليهم الرب بكلمة واحدة ...

تصوروا أن السيد المسيح لم يرد على كثيرين طول مدة المحاكمة والتعذيب والصلب ... لم يفتح فاه ، كشاة تساق إلى الذبح . وكنعجة صامته أمام جازيها ، فلم يفتح فاه ، (أش ٥٣ : ٧) ... لم يرد على قيافا رئيس الكهنة إلا بعد أن استخلفه بالله الحي (متى ٢٦ : ٦٣ ، ٦٤) . وبيلاطس الوالي الذي حاكمه كان متعجباً جداً من صمته (متى ٢٨ : ١٤) . كثيرون استهزأوا به ، فلم يرد عليهم . شتموه ، فلم يرد عليهم . تحدوه وقالوا له : « إن كنت ابن الله أنزل من علي الصليب » (متى ٢٧ : ٤٠) فلم يرد عليهم كذلك . اللص اليسار نفسه المصلوب إلى جواره كان يعيره ويتحداه قائلاً : « إن كنت أنت المسيح ، نخلص نفسك وإيانا ، (لو ٢٣ : ٣٩) . فلم يرد على هذا أيضاً .

أما هذا اللص اليمين فما أن قال له ، أذكرني يا رب متى جئت
في ملكوتك ، حتى تلقى الجواب بسرعة ، الحق أقول لك أنك اليوم
تكون معي في الفردوس ، (لو ٢٣ : ٤٢ - ٤٣) .



**ما أعجب صحبة الرب لهذا اللص ! كان زميلاً على الصليب ، وزميلاً
صالحاً !! وبلغت الصحبة مداها ، أن الرب لم يكتف بصحبته له على
الصليب ، وإنما قرر أن تستمر الصحبة أيضاً في الفردوس ! كان يستطيع
أن يعده قائلاً ، اليوم تكون في الفردوس ، . ولكنه قال له ، تكون
معي ، . يدخل في معيته ، وحيثما يكون الرب يكون معه أيضاً ...**

ما أسعده لاصاً!... لم يأنف الرب من هذا اللص ، ولم يشمئز ، بل على العكس وجد فيه قلباً مملوءاً بالفضائل . فبادله الحديث على خشبة الصليب ، وفرح أن يسعد قلب هذا اللص بوعد يطمئنه على مصيره قبل أن يلقي الموت ...

ستكون معي في الفردوس ، لأن قلبك صار معي على الأرض . لأنك سلمتني قلبك على الصليب ، وسلمتني مصيرك ولأنك تألمت معي ، فلذلك سوف تتمجد معي أيضاً ... لقد صلبت معي ، وتألمت معي... وستحيا معي أيضاً .

ما أعجب هذا اللقاء ... على الصليب ...

كثيرون التقوا مع الرب في الكنائس والمعابد ، وآخرون التقوا به في مخادعهم المغلقة عليهم ساعة الصلاة ... أما أن يكون مكان اللقاء على الصليب ، فهذا عجيب حقاً . هل كان هذا اللص يفكر إنه إذا تاب في يوم ما ، والتقى بالرب يكون لقاءه به في مثل هذا الموضع ...!!!

حقاً ان « ملكوت الله لا يأتي بمراقبة » (لوقا : ١٧ : ٢٠) .. لا نستطيع أن نعرف متى تعمل النعمة في الانسان ، وكيف ، ومتى ... حقاً ان الروح يهب حيث يشاء (يوحنا : ٣ : ٨) ... لقد عاش هذا اللص حياته كلها في الخطية ، واصقت به الخطية حتى على الصليب عندما كان يعير الرب مع زميله ... فهل معنى هذا أن النعمة كانت قد حجبت وجهها عنه ،

أو أن الرب قد نسيه إلى الانقضاء... ١٤ كلا ، فراحم الرب كانت
تنتظر الوقت المناسب لتعمل فيه... ثم جاء زمان افتقاده ونال الخلاص،
وهو على بعد أشبار من الموت ...

**نحن لا نعرف من هم المختارون . من كان يظن أن هذا اللص
سينير واحدا منهم !! من كان يظن أنه في ساعة واحدة سينال ما ناله
غيره بجهد عشرات السنوات ١٤ اتنا نحكم حسب الظاهر ، ونحتقر
البعض ، ونرثي للبعض ، وربما يكونون أفضل منا بمراحل . . . ومع
ذلك نقول في صدق ان هذا اللص ، قد دخل الفردوس عن جدارة
واستحقاق .**

لقد كان عجبيا ، وعجبيا جدا ، في كل ما فعله ...

اعترف بالمسيح ربا ، فقال له « اذكرني يارب ، » .

واعترف به ملكا ، فقال له « متى جئت في ملكوتك ، » .

واعترف به مخلصاً ، قادراً أن ينقله إلى الفردوس .

وعلى الصليب اعترف هذا اللص بخطاياہ الشخصية ، واعترف

باستحقاقه للموت . ووبخ زميله اللص الآخر قائلاً له « أما نحن فبمعدل

(جوزينا) ، لاننا ننال استحقاق ما فعلنا ، .

وانتهر زميله بسبب تجديفه على السيد المسيح قائلاً له « أو لا تخاف

الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ... وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في

محلّه ، (لو ٢٣ : ٤٠ - ٤١) . وهكذا اعترف ببر المسيح وخلوه من الخطية ، وبالتالي لا يكون قد صلب بسبب خطية له ، وبالاستنتاج يكون صلبه عن خطية غيره ...

عجيب هذا حقا ، أن يكون الوحيد الذي دافع عن السيد المسيح وسط تلك الآلاف هو اللص اليمين !! لم يدافع عنه واحد من الإثني عشر . لم يدافع عنه واحد من التلاميذ السبعين . لم يدافع عنه واحد من الذين شفاهم أو أقام موتاهم أو أخرج منهم الشياطين ... لم يدافع عنه أحد ... اجتاز المعصرة وحده . والوحيد الذي دافع عنه ، ولم يقبل كلمة إساءة توجه إليه ، هو اللص اليمين !! من كان يظن في جميع التلاميذ وفي جميع المؤمنين ، أن الوحيد الذي يدافع عنه هو اللص !! حقا - كما قال الرب - **« انظروا ، لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار ، (متى ١٨ : ١٠)**

فلا تظن في نفسك يا اخي أنك شيء ، أو أنك أفضل من أمثال هؤلاء ... لا تظن في نفسك أنك كأحد الرسل أو أحد الأحياء أو المريرين أو القريبين من الرب ... فقد سكت كل هؤلاء ، لم يدافع واحد منهم عن المسيح ، والذي دافع عنه هو لص لم يكن يتوقعه أحد ، ولم يكن يسمع به أحد ...

والجميل في هذا اللص - غير دفاعه عن المسيح - أنه كان مشغولا بأبديته . كان مهتما بإعداد العدة لمصيره الأبدى . هو أيضاً لم يكن

يفكر في آلامه الجسدية ، وإنما في مصيره بعد الموت . لذلك صرح في استرحام وفي استغفار ، « أذكرني يا رب ، . . . أذكرني في مراحلك ، وليس في خطاياي . أو كما قال داود النبي « أذكر يا رب مراحلك ورأفاتك فإنها ثابتة منذ الأزل . خطايا شبابي وجهالاتي لا تذكر . كرحمتك أذكرني أنت ، من أجل جودك يا رب ، (مز ٢٥ : ٦ و ٧) .

« أذكرني ، ولا تدخلني في زمرة أولئك الذين قلت لهم « إني لم أعرفكم قط ، .. أذكر هذا الجوار . . . انها ساعات خالدة في حياتي ، تلك التي قضيتها الى جوارك على الصليب . انها اسعد ساعات حياتي ، أتمتع بشركة آلامك ، وأفتخر بأنني « مع المسيح صلبت ، (غل ٢ : ٢٠) . فمن أجل هذا الجوار أذكرني . لقد كان صليبي إلى جوارك عاراً لك ، ولكنه نخر أبدي لي . تكفيني هذه الساعات السعيدة معك ، ولكنني أريد أن أعتبرها كمجرد عربون . . .

إن عبارة « أذكرني ، التي أقولها لك ، تعني وجود علاقة سابقة . تعني أنني معروف عندك ، ومكتوب في سفرك ، ومنقوش على كفك . لقد احصيت مع أئمة (اش ٥٣ : ١٢) ، واصلبت مع الخطاة . وان حسب هذا عاراً لك ، لكنه نعمة لي وبركة . . . ما ألد وجودي إلى جوارك ، إنه ينسيني كل آلامي فلا أشعر بها . . . بل أشعر بروحك تتخلل كياني كله ، وتطهرني وتقدسني ، وتجعلني إنساناً آخر . . . إنك كشعاع الشمس الذي قد يرقد إلى جوار أي جسم قدر ، فلا يتسخ منه ، بل يطهره . . . انا معتر بصحبتك ، ليتني عرفتك من قبل . . . فاذكرني .

ليت كل واحد فينا يصيح مع اللص قائلاً « اذكرنى يا رب »
أذكر أنك ابنا في كورة بعيدة، وعبداً ضالاً خارج الحظيرة . أذكرنى
فى ضعفى ، وفى ذلى ، وفى سبى ، أذكرنى فى سقوطى لكى تقيمنى وترد
نفسى اليك . أذكرنى لأنى واحد من الذين د ليس لهم أحد يذكركهم ،
ليس لى إنسان يلقىنى فى البركة فأبرأ (يو ٥ : ٧) .

**ان قصة اللص اليمين هذه تعطينا فكرة ان ساعة الموت تختلف من
انسان الى آخر . لا نقل أنه ذكر الرب وتاب إذ كان لا بد أن يفعل
هكذا فى ساعاته الاخيرة . كلا ، فاللص الآخر كان مثله فى ساعاته الاخيرة
ومع ذلك يقول الكتاب أنه كان يجدف على المسيح ، وما كان يخاف
الله ، وما كان يهتم بمصيره الأبدى . وإنما كان كل همه أن يتخلص من
الصليب (لو ٢٣ : ٢٩) ، ليعود فيتمتع بهذا العالم ... وهكذا استحق
الانتهار من زميله . وفى ساعة الموت : بدلا من أن يتوب عن خطايه ،
كان يرتكب خطايا جديدة ، بقسوة قلب ! ! . . . كان هذا اللص اليسار
قريباً من المسيح بالجسد ، كان إلى جواره . أما قلبه فكان مبتعداً عنه
بعيداً بما لا يقاس ، حتى فى ساعة الموت !! إن ساعة الموت لم تستطع
أن تذكره بالتوبة ، ولا أن تدفعه إلى الاستعداد ... إطلاقاً ...**

إنه لم يتأثر بمغفرة المسيح لصالحيه : ولم تملكه الغيرة من أجل الوعد
الذى ناله زميله بدخول الفردوس . ولم يؤمن إذ رأى السماء ، والارض
ماجت مرتعدة ، والصخور تشققت ، والظلمة سادت على الكون . . .

بل كان منشغلا عن أبعديته ، حتى في ساعة الموت . ما يزال يحب العالم
ومعاودة المعيشة فيه... لا يريد المسيح ولا صحبته ، وإنما يحب أن يستغله
كوسيلة للنزول من على الصليب . . .

**انه درس قاس لكل من يؤجل التوبة ، وفي ظنة انه سيتوب في
اواخر ايامه ، التي لا يعرف لها موعدا !! كثير من الناس يكونون في
ساعة الموت مثل اللص الذي على الشمال ، يجدفون ويتذمرون ويشتهون
العالم الحاضر !! من كان عبداً لعادة من الصعب أن يبطلها بالتأجيل ،
حتى لو دقت يداه وقدماه بالمسامير ، وكان بينه وبين الموت دقائق !! إذا
لم يتعاون الإنسان مع عمل النعمة في قلبه ساعة الموت ، فمن الممكن أن
يخطيء في تلك الساعة أيضاً .**

**كثيرون في ساعة الموت يبكون بدموع ... ليس بكاء على خطاياهم ،
وإذا لأن الموت سيعرهم من ملاذ الحياة !! يكون لأن الموت سيفصلهم
عن أحبائهم وعن شهواتهم ... ما يزال العالم حلواً في قلوبهم ، حتى في
ساعة الموت . . . لا تظنوا أن الموت - بالضرورة - يجلب للإنسان
خشوعاً !! ليس لكل الناس . إن اللص اليمين استفاد من ساعة الموت ،
والص اليسار لم يستفد ... وبينما كان اللص اليسار يجدف ويعير ، كان
زميله يصلي ، ويتضرع قائلاً : أذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك ،
والرب لم يتخل عن هذا اللص التائب . ولم يتهمل عليه وإنما
كانت استجابة صلاته أسرع مما كان يتوقع . إن اللص في آخر ساعاته
لم يفقد رجاءه في مراحم الرب . والرب أيضاً قوى رجاءه وأكده**

تأكيداً بقوله له : « الحق أقول لك انك اليوم تكون معي .. » . انك الآن معي ، وبعد قليل ستكون معي . ولكن شتان بين الحالين ... كما كنت معي في الآلم ستكون معي « في الفردوس » . أنت الآن تتعذب ، وهناك تعزى ...

وبقول الرب « في الفردوس » انما صحح للصر خطأ وقع فيه .
وصححه له بنفس طريقة المسيح الهادئة اللطيفة ... لقد قال المص « أذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك » وحسناً آمن ان للمسيح ملكوتاً روحياً في السموات ، وأن مملكته ليست من هذا العالم كما يطلب العالميون ... ولكن ملكوت السموات لا يدخله الناس الا بعد القيامة العامة ، أما بعد الموت مباشرة ، فيذهبون الى مكان الانتظار . ومكان انتظار الأبرار هو الفردوس . وهكذا لم يقل السيد للمص « اليوم تكون معي في ملكوتي » وإنما « في الفردوس » . وبهذا باشر الرب وظيفته كعلم صالح ، حتى على الصليب ، بنفس طريقته الودية في التعليم ، شارحاً للمخطيء خطاه دون أن يقول له أنك أخطأت .

ستكون معي في الفردوس ، كعربون ... وستأتي معي على السحاب في مجيئي الثاني . وستقف على يميني في يوم الدينونة ، كما أنت الآن عن يميني على الصليب ، رمزاً للأبرار ... وستملك أيضاً معي في ملكوتي . وتكون معي في الأبدية التي لا تنتهي ... ها أنا معك كل الأيام والى انقضاء الدهر ...

لعل هذا الوعد قد جعل اللص ينتظر الموت بفرح ، ليكون مع المسيح ، فذاك أفضل جداً ... هنا نقول ما ألد الموت ١ ، أين شوكتك يا موت ١١ إن الموت مرعب للأشرار لكنه مفرح للذين يرقدون على رجاء ، للذين نالوا المواعيد ، ونظروا الأكاليل ، واطمأنوا إلى مصيرهم بعد الموت ، ورن في آذانهم قول المسيح « اليوم تكون معي في الفردوس » ...

وبقوله « تكون معي في الفردوس » ، لم يعان للص غفران خطيئته فحسب ، وإنما أعلن أيضاً فتح باب الفردوس لأول مرة بعد خطيئة آدم . هذا الفردوس الذي كان مغلقاً منذ ذلك الزمان ، لا يستحق أحد دخوله بسبب الخطية . وهذه العبارة التي قالها الرب للص ، نتذكرها كلما نودع نفساً رحلت عن عالمنا . فنقول في صلاة الجناز « افتح لها يارب باب الفردوس كما فتحته لذلك اللص » .

ان المغفرة التي نالها اللص هي عمل الهى ، وفتح باب الفردوس هو عمل الهى أيضاً . عملان قام بهما الرب على الصليب يثبتان لاهوته . إنه لم يصل لأجل اللص للمغفرة ولدخول الفردوس ، إنما قال له بسطان « اليوم تكون معي ... » . وكأنه بهذا قد باشر عمله كديان عادل من حقه أن يصدر حكماً في أبدية انسان ، فحكم للص بدخول الفردوس في نفس اليوم . من من البشر له سلطان أن يفعل هذا ؟ إنه سلطان إلهى لا يقدر عليه انسان ... كذلك فتح الفردوس : أمر لم يقو عليه أحد من قبل ، لا رئيس آباء ولا نبياً . من استطاع أن يفتح باب الفردوس المعلق ،

أو من استطاع أن يدخله؟! لا أحد . كلهم انتظروا حتى يأتي المخلص
فيفتح لهم . إنه عمل إلهي ... وهو أيضاً إعلان عن كفاية هذا الدم
المسفوك عنا لفتح باب الفردوس ...

حقا انه صاحب السلطان . « يفتح ولا احد يغلق .

ويغلق ولا أحد يفتح ، (رؤ ٣ : ٧) ، (اش ٢٢ : ٢٢) . هو الذى
بيده مفاتيح الهاوية والموت (رؤ ١ : ١٨) . بل بيده مفاتيح السماء
والأرض ، وبسلطانه يهبها لتلاميذه ، وكلائه على الأرض . هو الذى
فتح للعذارى الحكيمات . وإليه تضرعت الجاهلات قائلات « يا ربنا
يا ربنا ، افتح لنا ، (متى ٢٥ : ١١) . ولكنه لا يفتح فردوسه ، إلا
للذين فتحوا له قلوبهم ، كاللص اليمين الذى استحق أن يقول له « اليوم
تكون معى فى الفردوس ، ...

وعبارة (اليوم) تكون معى ، دليل اكيد على عدم وجود مطهر

كما يظن البعض . فاللص دخل الفردوس فى نفس يوم وفاته ، دون أن
يقضى فى هذا المسمى بالمطهر ساعة واحدة !! ... كما أن عبارة (اليوم)
تكون معى ، تنفى الفكرة التى بها يظن البعض أن روح الميت تظل
باقية تتردد على أما كن سكناها حتى اليوم الثالث إلى أن تصلى الكنيسة
صلاة فى اليوم الثالث لصرف تلك الروح !! ... هل بقيت روح اللص
اليمين إلى اليوم الثالث ، أم فى نفس اليوم كانت فى الفردوس؟! ...

وبعبارة الفردوس شرح الرب مصير الانسان بعد الموت ،
وكيف أن الفردوس هو مكان الانتظار للأبرار، وكيف انهم سيكونون
هناك مع المسيح يتمتعون به .

اليوم تكون (معي) . انها ممتعة جميلة ان نكون مع الرب .
إن الوجود مع الرب هو أجمل من الفردوس أو هو أجمل ما في الفردوس
أو هو الفردوس ذاته ، بل هو النعيم الحقيقي ، أن نوجد معه . هذا هو
ما قاله الرب ، وما وعد به ... آتى وأخذكم إلى ، حتى حيث أكون أنا
تكونون أنتم أيضاً ، (يو ١٤ : ٣) . ما أجمل هذا الوعد . إنه أملنا
الذى نسعى إليه ، ونتشاهاه ...

إن الحياة الروحية كلها هي د معية مع الرب ، ...

بهذا الوعد ، افرح الرب قلب اللص ، ولم تشغله آلام الصليب عن
التحدث مع هذا الانسان وطمانته واسعاده ... نسي السيد الرب آلامه
المبرحة ، نسي الشوك والمسامير وأثار الجسد وجسده المنهك ، وشغل
وقته بالأصغاء إلى هذا اللص والتحدث معه وطمأنة قلبه ... حقاً ان
د المحبة لا تطلب ما لنفسها ، (١ كو ١٣ : ٥) ، بل ما هو للآخرين
(١ كو ١٠ : ٢٤) ما أكثر ما يأتى إلينا انسان فى وقت تعبنا أو
مشغوليتنا ، فنتبرم به ، ونتضايق ، ونقول له «طيب يا أخى بعدين ، أنا
مش فاضى لك دلوقتى ، استنى شوية » . أما السيد المسيح فحتى على
الصليب ، لم يقل مثل هذه العبارات . وإنما على الرغم من آلامه أعطى

اللص الاهتمام الذي يحتاج اليه ، واستجاب طلبته، وأسعد قلبه . وأرانا أنه حتى على الصليب يمكن القيام بخدمة للآخرين . . .

وفي الاهتمام باللص يظهر لنا الرب أهمية العمل الفردي الى جوار العمل الجماعي . فبالإضافة إلى عمل الفداء العظيم المقدم للعالم أجمع ، لكل من يؤمن به ، وبالإضافة إلى غفرانه لصالحيه ، كان له أيضاً عمل فردي مع اللص . لأن الفرد — عند المسيح — لا يتوه وسط الجماعة . . . ما تزال له قيمته ، وله اهتمامه . . .

وهكذا كان السيد المسيح في كل كرازته عمل الأرض يعمل في الميدانيين معا : العمل الجماعي ، والعمل الفردي : العمل الجماعي وسط الجماهير الكثيرة ، وسط الجموع المزدحمة حواليه في عظته على الجبل ، ووسط الخمسة الآلاف الذين اشبعهم بخمس خبزات وسمكتين . . . وله العمل الفردي وسط الاثني عشر ، أو وسط ثلاثة منهم هم بطرس ويعقوب ويوحنا ، أو مع نيقوديموس ، أو في بيت مريم ومرثا ، أو مع امرأة السامرية عند البئر . . .

إن الله لا ينسى الفرد وسط الجماعة . لا يضيع فرد في زحمة الناس . لا يضيع الحروف الضال في زحمة الاهتمام بالتسعة والتسعين الباقين . . . لا يضيع اللص اليمين وسط الاهتمام بخلاص العالم كله .

الظمة الثالثة

هُوَ ذَا ابْنُكَ ... هُوَ ذَا أُمَّكَ (برمنا ١٩: ٢٦، ٢٧)

كان الاهتمام بالآخرين هو أول ما يشغل الرب على الصليب . فكما
اهتم بصاليبه ، وقال « يا أبتاه أغفر لهم » ، وكما اهتم باللص اليمين ووعده
قائلاً « اليوم تكون معي في الفردوس » ، اهتم أيضاً بأمه ، وعهد
برعايتها إلى تلميذه الحبيب يوحنا .

عهد بالبتول الى تلميذه البتول ...

عهد بأمه التي حملته كثيرا على صدرها ، الى تلميذه الحبيب الذي
اتكأ كثيرا على صدره .

عهد بأمه التي وقفت الى جوار صليبه ، الى تلميذه الوحيد الذي
تبعه حتى الصليب .

عهد بأمه التي حملت في داخلها جهر لاهوته ، الى تلميذه الذي
كتب انجيلا فيما بعد يثبت فيه لاهوته .

قال لها « هذا هو ابنك » . وقال له « هذه هي أمك » .

ومن ذلك الحين أخذها التلميذ إلى بيته (يو ١٩ : ٢٧) .

وبهذا أعطانا الرب مثالا عن الاهتمام بالأقرباء حسب الجسد ،

وبخاصة الأم . لقد اهتم بهذا المستودع الذي حمله تسعة أشهر ، وبهذه

الأم التي اهتمت به قبلا ، والتي عاش خاضعا لها (لو ٢ : ٥١) .

ان الشخص في آلامه يكون موضع اهتمام الناس به . أما المسيح
في آلامه ، فكان هو المهتم بغيره ..

كم بالحري الآن وهو في راحته ، يهتم بنا بالأكثر ...

اهتمامه الأول وجهه إلى غفران الخطايا ، وبعد ذلك اهتم بالرعاية
الاجتماعية . وكانت الامم هي أولى من اهتم بها في هذه الرعاية .

**لقد ظن البعض - عن سوء فهم - ان السيد الرب في تركيزه على
العلاقات الروحية ، قد ابطال الاهتمام بهذه العلاقات العائلية في قوله
« من هي أمي ، ومن هم أخوتي .. الذي يفعل مشيئة أبي الذي في
السموات هو أخي وأختي وأمي ، (متى ١٢ : ٤٨ - ٥٠) . ولكن
هذا الفهم الخاطيء ألغاه الرب على الصليب ...**

إن التكريس ، والتفرغ لخدمة الرب ، والانشغال بالأسرة الكبيرة
التي هي الكنيسة الجامعة ، كل ذلك لا يعني إهمال الإنسان لأقربائه
وخاصته ، ولا سيما أهل بيته . (١ تي ٥ : ٨) وكل ذلك لا يعني
الإنسان من إكرام والديه أو من الاهتمام بأمه .

**وكأنها كان هناك موعد بين السيد المسيح وأمه القديسة
العدراء . كان وجهها الطاهر أول وجه يراه عند مجيئه إلى هذا العالم
بالجسد ، وكان آخر وجه يراه قبيل تسليمه الروح في يدي الأب ...
إنه قلب الأم المحب الذي يسعى وراء الابن أينما كان ، ويلزمه في**

آلامه في حب .. ويناجيه بتلك العبارة المؤثرة « أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص . وأما أحشائي فتلتهب بالنار عند نظري إلى صلبوتك الذي أنت صابر عليه من أجل الكل يا إلهي وإلهي ، ... »

وهو أيضاً قلب الابن الذي يهتم بأمه وهو في عمق آلامه .

وهكذا وجد السيد المسيح من اللازم أن يعتني بأمه في آلامها ، ويقول لها كلمة تعزية بينما « يجوز في نفسها سيف (لو ٢ : ٣٥) ... »
وجد من المناسب له كإبن أن يعزي أمه في آلامها . وقد عزاها بثلاثة أمور : **بالحديث معها ، وبالعناية بها وتدبير أمورها ، وبمنحها ابناً روحياً يؤنس وحدتها ..**

وحديث الرب مع أمه على الصليب ، يختلف عن حديثه مع اللص اليمين . اللص هو الذي بدأ الكلام ، والرب رد عليه . أما مع القديسة مريم ، فالرب هو الذي بدأ الكلام ... إنها أمه . لا ينتظر حتى تكلمه فيرد عليها . ولا ينتظر حتى تشكو إليه فينتظر في شكواها ... وهي لن تشكو . فقد تعودت العذراء أن تصمت . حتى إلى جوار الصليب ، لم يقل أحد أنها كانت تصرخ أو تندب ، إنما كانت رصينة ورزينة في ألمها ، وصامته . وكان الرب يفهم صمتها ويسمعه ، ويعرف دواخل قلبها ومشاعرها . فكلمها دون أن تطلب . وأطاعت كلامه ، وذهبت مع التلميذ الحبيب إلى بيته ...

وكانت العذراء بركة ليوحنا ، وبركة لبيته ، منحه المسيح اياها ،
مكافأة له على حبه ... أخذها التلميذ كجوهرة ثمينة أغلى من العالم
كله ... وظلت في بيته وديعة غالية حتى تنيحت ... ويقال أن يوحنا
الرسول لم يرح أورشليم إلا بعد نياحة العذراء ... إن كان يوحنا قد
وصل في حبه أنه تبع المسيح إلى الصليب ، وظل واقفاً إلى جواره ،
فيجب أن ينال مكافأة على ذلك ، هنا وفي الأبدية ... أما هنا ، فقد
نال بركة العذراء وإقامتها في بيته ... إن كل الذين يتبعون المسيح ،
لا بد أن يأخذوا منه شيئاً ... لا بد أن يعترفوا من بركاته ومن نعمه .

والعذراء أخذت يوحنا لها ابناً . أعطاه الرب أكثر تلاميذه حبا

وعاطفة ورقة وتعلقا وخلصا ... يوحنا الحبيب أكثر من تكلم من
الرسول عن المحبة ... هو الذي قال إن « الله محبة » ، (١ يوحنا ٤ : ١٦) ،
هو التلميذ الذي كان « يتكلم في حضن يسوع » ، وكان « يسوع يحبه » .
إنه أكثر إنسان يقدم للعذراء صورة ابنها ...

كان يبدو أن المسيح على الصليب لا يملك شيئاً . حتى ملابسه ،
أخذوها واقتسموها فيما بينهم . ولكنه كان يملك يوحنا ، فأعطاه لأمه .
يوحنا الذي وهب قلبه للمسيح ، فأخذ المسيح هذا القلب ، ووهبه
لأمه ... وهكذا جمع الرب محبيه معاً ... واهتم بأمه عاطفياً ، كما اهتم
بها مادياً ...

تري من الذى كان يهتم بالآخر : العذراء ام يوحنا ... كانت العذراء
فى بيت يوحنا ، لا لتأكل منه ، وإنما لتأله بركة ونعمة ... ولكى
تمنحه أيضاً معرفة بالمسيح ، أعمق من كل ما يعرفونه ، وأوسع ...

نلاحظ أن كون المسيح يهد بأمه الى تلميذه يوحنا ، يعمل
دلالة أكيدة على أن السيدة العذراء لم يكن لها أبناء آخرون
بعد المسيح كما يدعى البروتستانت . لأنه لو كان لها أبناء ، لكانوا

أولى برعايتها وبنوال بركتها من
أى شخص غريب ... لقد كانت
العذراء وحيدة فى ذلك الوقت :
ليس لها أبناء ، ويوسف النجار
قد تنيح منذ زمن . فعهد بها
المسيح إلى تلميذه ...

وعبارة « هذا هو ابنك »
تعطينا فكرة عن البنية الروحية
كما توضح لنا كرامة العذراء
بالنسبة الى آبائنا الرسل
انفسهم ...



الكلمة الرابعة

إلهي إلهي لماذا تركتني (متى ٢٧: ٤٦)

هذه العبارة لا تعنى ان لا هوته قد ترك ناسوته ، ولا ان الآب قد ترك الابن ... لا تعنى الانفصال ، وانما تعنى ان الاب قد تركه للعذاب أن لا هوته لم يترك ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين .. بهذا تؤمن ، وبهذا نصلى فى القداس الإلهي .. ولو كان لا هوته قد انفصل عنه ، ما اعتبرت كفارته غير محدودة ، تعطى فداءً غير محدود ، يكفي لغفران جميع الخطايا لجميع البشر فى جميع الأجيال ... إذن فلم يحدث ترك بين لا هوته وناسوته .

ومن جهة علاقته بالآب ، فلم يتركه الآب ، لأنه فى الآب ، والآب فيه ، يو ١٤ : ١١) .

اذن ما معنى عبارة « لماذا تركتني » ؟

ليس معناها الانفصال ، وإنما معناها : تركتني للعذاب . تركتني اتحمل الغضب الإلهي على الخطية . هذا من جهة النفس . أما من جهة الجسد ، فقد تركتني أحس العذاب وأشعر به . كان ممكناً ألا يشعر بالم ، بقوة اللاهوت ... ولو حدث ذلك لكانت عملية الصلب صورية ولم تتم الآلام فعلاً ، وبالتالي لم يدفع ثمن الخطية ، ولم يتم الفداء ..

ولكن الآب ترك الابن يتألم ، والابن قبل هذا النرك وتعذب به .
وهو من أجل هذا جاء .. كان تركا باتفاق .. من أجل محبته للبشر ،
ومن أجل وفاء العدل .. تركه يتألم ويبذل ، ويدفع ، دون أن يفصل
عنه ... لم يكن تركا أقنوميا ، بل تركا تديريا .. تركه بحب ، سر أن
يسحقه بالحزن ، (أش ٥٣ : ١٠) .

مثال لتقريب المعنى :

لنفرض أن طفلا اصطحبه أبوه لاجراء عملية جراحية له ، كفتح
دمل مثلا أو خراج . وأمسكه أبوه بيديه ، وبدأ الطبيب بعمل عمله ،
والطفل يصرخ مستغيثا بأبيه « ليه سبتنى » . وهو في الواقع لم يتركه ،
بل هو يمسك به بشدة ، ولكنه قد تركه للالم ، وتركه في حب ... هذا
نوع من الترك ، مع عدم الانفصال .. نقوله لمجرد تقريب المعنى ،
والقياس مع الفارق ...

ان عبارة « تركتني » ، تعنى ان آلام الصلب ، كانت آلاما حقيقية .
وآلام الغضب الإلهي كانت مبرحة .. في هذا الترك تركت كل آلام
الصليب ، وكل آلام الفداء .. هنا يقف المسيح كذبيحة محرقة ،
وكذبيحة اثم تشتعل فيه النار الإلهية حتى تتحول الذبيحة إلى رماد ،
وتوفى عدل الله كاملا ..

كثير من المفسرين يرون ان الرب بقوله « الهى الهى لماذا تركتني »
انما كان يذكر اليهود بالزمور الثانى والعشرين الذى يبدأ بهذه العبارة .

كانوا « يضلون إذ لا يعرفون الكتب » (متى ٢٢ : ٢٩) بينما كانت هذه الكتب « هي التي تشهد له » (يو ٥ : ٣٩) فأحاطهم السيد المسيح إلى هذا المزمور بالذات . وكانوا لا يعرفون المزامير بأرقامها الحالية ، وإنما يسمون المزمور بأول عبارة فيه ، كما يفعل الرهبان في أيامنا ...

وماذا في هذا المزمور عنه ؟

فيه « ثقبوا يدي وقدمي ، واحصوا كل عظامي ... وهم ينظرون ويتفرون في . يقسمون ثيابي بينهم ، وعلى قميصي يقترعون ، (١٧٤ ، ١٨) وواضح أن داود النبي الذي قال هذا المزمور ، لم يثقب أحد يديه ولا قدميه . ولم يقسم الناس ثيابه ، ولم يقترعوا على قميصه ... إنما هذا المزمور ، قد قيل بروح النبوة على المسيح ... وكان المسيح على الصليب يقول لهم : أذهبوا واقرأوا مزمور « الهى الهى لماذا تركتني ، وانظروا ما قيل فيه عنى ... ترون أنه قيل فيه عنى أيضاً :

« عار عند البشر ، ومحتقر الشعب . كل الذين يروني يستهزئون بي يفغرون الشفاء وينغضون الرأس قائلين : اتكل على الرب فلينجح ، لينقذه لأنه سر به » (٦٤ - ٨) ...

ويعوزنا الوقت أن فحصنا كل المزمور ... أنه صورة واضحة لآلام المسيح على الصليب . وجههم إليه . « وفتح ذهنهم ليفهموا الكتب ، (لو ٢٤ : ٤٥) »

كل نص المزمور بدأ يتحقق ، لذلك قال بعد حين « قد اكمل » .
ولكن لماذا لم يقل « قد اكمل » مباشرة بعد إلهي إلهي لماذا تركتني ؟
لأن هناك عبارة أخرى في المزمور لم تكمل بعد وهي عبارة ديبست مثل
شقفه قوتي ، ولصق لساني بحنكي ، (ع ١٥) . إن هذه أيضاً ستتحقق
بعد حين عندما يقول « أنا عطشان » . لذلك قال بعدها « قد اكمل » ..

ولكن لماذا قال المسيح « إلهي ، إلهي » ؟

لقد قالها بصفته نائباً عن البشرية . قالها لأنه « أخلى ذاته » ، وأخذ
شكل العبد ، صائراً شبه الناس ، وقد وجد في الهيئة كإنسان ،
(في ٢ : ٧ ، ٨) . قالها لأنه « وضع نفسه » ، و « أطاع حتى الموت ،
موت الصليب » ، (في ٢ : ٩) أنه يتكلم الآن كابن للإنسان ، أخذ
طبيعة الانسان ، وأخذ موضعه ، ووقف نائباً عن الانسان وبديلاً
أمام الله ، كابن للبشر ، وضعت عليه كل خطايا البشر ، وهو الآن
يدفع ديونهم جميعاً ...

هنا نرى البشرية كلها تتكلم على فمه وإذا وضعت عليه
كل خطايا البشر ، والخطية انفصال عن الله ، وموضع غضب الله ،
لذلك تصرخ البشرية على فمه « إلهي إلهي ، لماذا تركتني ، ...

**لقد ناب السيد المسيح عن البشرية في أشياء كثيرة ، ان لم يكن
في كل الأشياء !!**

ناب عنا في الصوم : لم يستطع آدم وحواء أن يصوما عن الثمرة
المحرمة ، وقطفاً وأكلاً ، وبدأ السيد حياته بالصوم حتى عن الطعام المحلل .

لم يكن في حاجة إلى الصوم ، ولكنه صام عنا أربعين ليلة ، كما تقول
تساويح الكنيسة .

وناب عنا في طاعة الناموس : الرب من السماء أشرف على

بنى البشر ، لينظر هل من فاهم طالب الله . الجميع زاغوا وفسدوا .
ليس من يعمل صلاحاً ، ليس ولا واحد ، (مز ١٤ : ٢ ، ٣) .
وجاء المسيح ، فتاب عن البشر في طاعة الآب ، ونفذ الناموس لكي
« يكمل كل بر » ، (متى ٣ : ١٥) كما ذكر وقت العباد ... وهكذا تاب
عن البشرية في تقديم حياة طاهرة مقبولة أمام الله الآب ...

وناب عنا أيضاً في الموت وفي العذاب وفي دفع عن الخطية : والذي بلا

خطية ، صار خطية لأجلنا ، (٢ كو ٥ : ٢١) . واحتمل كل لعنة
الناموس ، واحتمل كل غضب الله على الخطاة بكل ما فيه من مرارة .
وكتاب عن البشرية قال : « إلهي إلهي لماذا تركتني ، ... »

وهذا الذي أعان الكل ولم يترك أحداً ، تركه الكل حتى الآب ...

وبهذا دفع ثمن الخطية ، وتحمل الغضب ، وخرج متصمراً ، بعد أن جاز
معصرة الألم وحده ، نفساً وجسداً ..

وفي هذا كله أعطانا درساً . لكي نحترس نحن .

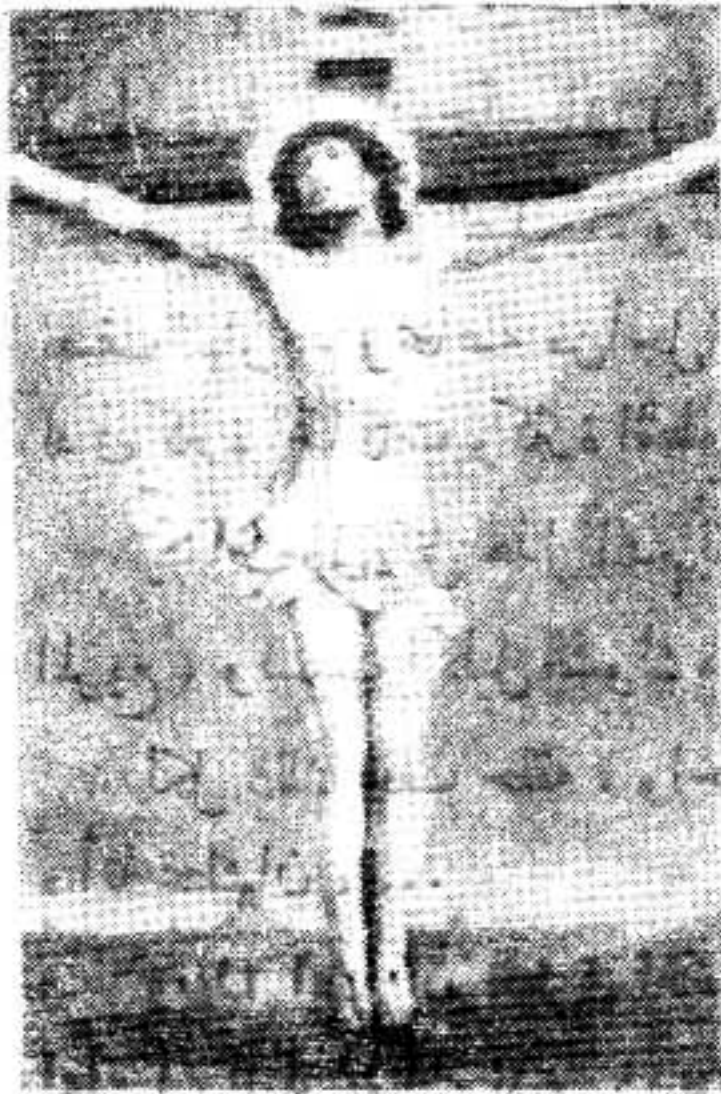
ان كانت الخطية تسبب كل هذا الترك ، وكل هذا التخل ، وكل

هذا الألم . فلنسلك نحن بتدقيق (اف ٥ : ١٥) ولنخف أن نترك
الرب لئلا يتركنا . فإن الإبن نفسه قد ترك . وألم الترك لا يطاق . وفي
كل ذلك فلنشكر ربنا يسوع المسيح ونسبحه على كل هذا الحب وهذا

البذل ...

ان عبارة « لماذا تركتني » ، تعطينا الكثير من العزاء كلها تقع في الضيقات ... إن كان الله الآب ، لم يشفق على ابنه ، (رو ٨ : ٢٢) واصله لهذا العذاب والحزن ، فلماذا نتذمر نحن على الآلام التي يسمح بها الآب ؟ .. إن كان الآب قد سر أن يسحق بالحزن ابنه الوحيد الحبيب الذي قال عنه : « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » ، (متى ٣ : ١٧) . ومع ذلك فنحن لم نتعرض لشيء من كل آلام المسيح على الرغم من استحقاقنا لكل ألم ، فلماذا إذن نتذمر على الضيقات ؟ .

إن الابن شرب الكأس التي قدمها له الآب ، وقال له « لتكن مشيئتك » . وأطاع حتى الموت ، موت الصليب ، بكل خضوع . أما عبارة « لماذا تركتني » ، فلم تكن نوعاً من الاحتجاج أو الشكوى - كما قلنا - إنما كانت مجرد تسجيل لآلامه ، واثبات حقيقتها ، وإعلاناً بأن عمل الفداء سائر في طريق التمام ...



لماذا تركتني ... ؟

الظمة الخامسة

أَنَا عَطْشَانٌ (برومنا ١٩: ٢٨)

من أجل خطاياي - أيها الأخ - ومن أجل خطاياك ، جف
حلق الرب على الصليب ، و « لصق لسانه بحنكته ، و « يبست مثل شقفة
قوته ، (مز ٢٢ : ١٥) ...

مياه جسده قد تصفت ونزفت ، وذلك لأسباب كثيرة :

بعضها لأجل العرق الكثير الذي سال منه كقطرات دم ، وهو يجاهد
لأجلنا في في بستان جثسياني (لو ٢٢ : ٤٤) . والعرق الذي سال منه في
الطريق وهو يحمل الصليب ، وطوال المدة تحت أشعة الشمس المحرقة في
نصف النهار .. وبمخاضة من أجل التعب والإرهاق والإنهك الذي تعرض
له في كثرة المحاكات وكثرة اللطمات .

يضاف إلى كل هذا الدم الكثير الذي نزف منه ، بسبب الجلد
المريع ، وبسبب اكليل الشوك ، وبسبب المسامير ..
لكل ذلك جف حلقه ، واحتمل حتى لم تبق في جسده قوة ، فقال
« أنا عطشان ، ...

**وبهذا أعلن ان الطرق أخذ سبيله الى الحديد المحمى بالنار ، او
أعلن ان النار بدأت تلتهم ذبيحته المحرقة ... أو أعلن أن العدل الإلهي
يتقاضى أجره ، وأن اللاهوت - كعده - لم يتدخل لتخفيف الألم عن**

الناسوت ، فكان الماء كاملاً ، تنسم منه الآب رائحة الرضا ، وعبر عنه
الابن بعبارته « أنا عطشان » . . . فليخز الآن أوطيخا الذي قلل من حقيقة
ناسوت الرب . فلو لم يكن ناسوته كاملاً ، ما قال « أنا عطشان » . . .

عجيب أن يعطش الينبوع ، الذي يهب الماء الحى لجميع العطاش
(يو ٧ : ٣٧) . الذي قال للمرأة السامرية « من يشرب من الماء الذى
أعطيته أنا ، فلن يعطش الى الأبد . بل الماء الذى أعطيه ، يصير فيه
ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية » (يو ٤ : ١٤) .

ماذا كان يقصد بعبارته « أنا عطشان » ؟

لا شك أنه كان عطشاناً فعلاً من الناحية الجسدية . ومن الناحية
الروحية كان عطشاناً أيضاً لهذا الخلاص الذى يقدمه للعالم ، كان عطشاناً
لعبارته « قد أكل ، التى سيقولها بعد . . . مثلما قال للمرأة السامرية « اعطينى
لاشرب » ، ولم يكن يقصد هذا الماء المادى « الذى كل من يشرب منه
يعطش أيضاً » (يو ٤ : ٧ ، ١٣) ، والذى لم يأخذه منها . وإنما كان
عطشاناً إليها هى وإلى أهل السامرة ، إلى خلاصها وخلاصهم .

ولم يقل « أنا عطشان » لى يأخذ من الناس ماء . كان يعرف
أنهم سيقدمون له خلاصاً ! (متى ٢٧ : ٤٤ ، ٤٨) . كان يعرف ذلك
بلاهوته الذى ينكشف أمامه الغيب والمستقبل . وكان يعرف ذلك من
حيث معرفته بالنبوة التى تقول « وفى عطشى يسقوننى خلاصاً (مز ٦٩ : ٢١) .

لم يقل « أنا عطشان » ليطلب مهم ماء ، فالله لا يمكن أن يلتمس
معونة من البشر . وأيضاً لأنه كان عازماً أن يشرب كأس الألم حتى

التمام . لذلك اعتنى عندما قدموا له خلا ممزوجا بالمر ، كنوع من التخدير لتخفيف ألمه ، و لم يرد أن يشرب ، (متى ٢٧ : ٣٤) .

اذا اراد الرب ان يتم النبوءات عنه، وان يعلن ان الثمن قد دفع،

لكي يطمئن البشر ...

أما البشرية الخاطئة فاستهزأت به فيما هو يدفع ثمن خلاصها . فقدموا له خلا في عطشه ، لكي يزيدوا ألمه ألماً . أترانا نحن نفعل ذلك أيضاً ، وكلما يطلب الرب أن يرتوي بخلاصنا ، ويشرب من نتاج كرمته التي يسرى عصيرها في عروقنا ، أترانا نقدم له خلا بأفعالنا الرديئة وبلهونا وعبثنا واهمالنا ؟!

يا اخي اخفض تلك القصبه التي ترفعها الى فم المسيح ، وابتعد عن شفثيه تلك الاسفنجة المملوءة خلا ، واندم على جرحك لمشاعر من أحبك واعمل أعمالا تليق بالتوبة .



وإذا سمعت الرب يقول : أنا عطشان ، فقل له : أنا يا رب الذي جففت حلقك بخطاياي . ليتني أستطيع أن أرويك بدموعي . ليتك تضرب بعصاك هذه الخرة الصلبة — التي هي قلبي — وتفجر منها ماءً يرويك ...

انا عطشان

الكلمة السادسة

فَدَّ اكْمِلَ (يوحنا ١٩ : ٣٠)

المسيح إلهنا البار ، الكامل في كل شيء ، القدوس الذي بلا خطية وحده ، الذي عاش على الأرض حياة كاملة استطاع أن يرضى بها الله الأب ، هو أيضاً كان كاملاً في كرازته وفي خدمته . استطاع أن يكمل رسالته التي أعطاه الآب إياها ، ويصبح صيحة النصر الأولى .

« العمل الذي أعطيتني لأعمل ، قد أكملته » . (يو ١٧ : ٤)

لقد استطاع أن يكمل كل بر . كمل بر الناموس كله ، وصاح أمام الناس « من منكم يبكتني على خطية » (يو ٨ : ٤٦) . كما كمل أيضاً جميع النبوءات الخاصة به والخاصة بعمل الفداء العظيم ... في سنوات قليلة ، حوالي ثلاث سنوات وبضعة شهور ، استطاع أن يعمل أعمالاً لم يعملها أحد من قبل ، واستطاع أن يكرز ببشارة الملكوت ويقول للآب « أنا مجدتك على الأرض ... أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم .. الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم .. الذين حفظتهم ، ولم يهلك منهم أحد ... عرفتهم اسمك ، وسأعرفهم ، (يو ١٧) .

وهكذا اكمل النبوءات ، واكمل الطاعة واكمل كل بر ، واكمل عمله الكرازي ، واكمل الحب إذ أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى ، (يو ١٣ : ١) . ثم صعد على الصليب ليكمل عمل

البذل ، ويكمل الفداء والكفارة والخلاص ... ويكمل عمل المصالحة
الذى به يصلح السمائيين مع الأرضيين ...

وفوق هذا المذبح ، وضع الله عليه اثم جميعنا ... وضع الله عليه
جميع الخطايا ، لجميع الناس ، فى جميع الأجيال ، من آدم إلى آخر
الدهور ، بكل ما فيها من بشاعة ومن دنس ومن خيانة ومن ضعف...
بكل ما فيها من زنا وفجور وكذب وسرقة وقتل وحسد وكبرياء...
حتى صاح الإبن قائلاً : قد أكمل ، ... ونحن نضع أيدينا على هذه
الذبيحة الطاهرة ، ونعترف كل يوم بخطايا جديدة ، نضيفها إلى آلامه
لكى يحوها بدمه الكريم ...

وكما كملت الخطايا على كنفه ، كمل أيضا العار الواقع عليه ...
وهكذا قال فى ذلك : بذلت ظهري للضاربين ، وخدى للناكتين . وجهى
لم استره عن خذى البصاق ، (أش ٥٠ : ٦) . وقال أيضا : كل الذين
يروثنى يستهزئون بى . عار عند البشر ومحتقر الشعب ، (مز ٦٧ : ٦) .
فى كل هذا تعرض للضرب والإهانة والجلد والاستهزاء ، وكل صنوف
التحقير والتهمك ، وكلبات التجديف والتعير وكانوا يلطمونه قائلين تنبأ
لنا أيها المسيح من لطمك ، (متى ٢٦ : ٦٧ ، ٦٨) !! وألبسوه الثوب
الأرجوانى وأكليل الشوك ، وصلبوه بين لصين ليحققوا فيه قول
الكتاب : ملعون كل من علق على خشبة ، (غل ٣ : ١٣)
(تث ٢١ : ٢٣) ... وهكذا صار لعنة لأجلنا ، . وفوق الخشبة

أيضاً أشبعوه إهانات وسباً ، حتى لينظر إلى كل هذا العار ويقول :
قد أكمل ...

وكما كمل عاره كملت آلامه بالجسد ، وكمل الغضب الواقع عليه .
دفع الثمن كله ، وقدم نفسه فدية ، وظلت النار تشتعل في ذبيحة المحرقة
حتى حولتها إلى رماد (لا ٦ : ١٠) . ولما رأى السيد الرب أنه قد
أكمل عمل الكفارة والفداء ، وأنه أعطى العدل الإلهي كل ما يطلب
ولم يعد له شيء بعد ، صاح في نصرته قائلاً « قد أكمل » ...

قد أكمل عمل الخلاص للجميع ، وتم الفداء ، واستطاع نسل
المرأة أن يسحق رأس الحية . . استطاع الله وقد ملك على خشبة ،
(مز ٩٦ : ١٠) أن يدمر مملكة الشيطان . الآن أصبحت الكفارة
كاملة كافية للجميع . الآن ينشق حجاب الهيكل ، ويفتح الطريق أمام
قدس الأقداس ... لقد كمل الصلح ، وكمل الرجاء أمام القديسين
الراقيدين . ولم يبق إلا أن يقوم الرب كجبار ، يتقلد سيفه على فخذه ،
ويستله وينجح ويملك (مز ٤٥ : ٣) . لذلك صاح الرب في فرح
« قد أكمل » ...

ان عبارة « قد أكمل » هي هتاف الفرح والانتصار . هتاف به
الرب الذي صارع وملك . واستطاع أن يشترينا بثمان ، ويؤسس
ملكوته الروحي ، ويحطم مملكة الشيطان الذي كان يدعى من قبل
« رئيس هذا العالم » ، (يو ١٤ : ٣٠) .

هل تستطيع يا أخى أن تنجح مثل الرب ؟ هل تستطيع أن تصعد
على الصليب ، وتسحق رأس الحية ؟ هل تستطيع أن تنظر إلى عمالك
الذى أعطاك الرب إياه وتقول « قد أكمل ، . ليمك تضع أمامك كل
حين هذا الشعار الجميل « العمل الذى اعطيتنى لاهل قد اكملته » ...
ضع أمامك باستمرار صورة الرب الذى أكمل عمله .



قد أكمل

الظمة السابعة

يَا أَبْتَاهُ فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي (لوقا ٢٣: ٤٦)

لقد أكمل الرب عمله على الصليب .

كما أكمل عمله الذي كان له قبل الصليب .

وبقى له عمل آخر ليعمله بعد أن يسلم الروح على الصليب .

أن يسبى سببياً ، ويعطى الناس عطايا ، (أف ٤ : ٨) . يبقى أن ينزل إلى الجحيم ويبشر الراقدين على الرجاء . وينقل هؤلاء القديسين الراقدين من الجحيم إلى الفردوس ، فاتحاً أبواب الفردوس المغلقة منذ أيام الخطية الأولى ...

لذلك إذ أتم الفداء ، لم يعد هناك داع للتأخير . عليه إذن أن

يخرج من هذا الجسد ليكمل عمل الخلاص الخاص بالراقدين أيضاً . فليسلم الروح إذن في يدي الآب حتى يتمكن أن يعمل الأعمال التي موعد عملها بعد الموت . وهكذا صرخ بصوت عظيم : يا أبته في يديك أستودع روحي ، ...

في يديك أنت أستودعها ، وليس في يدي غيرك رئيس هذا

العالم يأتي ، وليس له في شيء ، (يوح ١٤ : ٣٠) أنا من عند الآب

خرجت ، وأتيت إلى العالم ، وأيضاً أترك العالم وأرجع إلى الآب ،
(يوحنا ١٦ : ٢٨) .

كم اشتاق رئيس هذا العالم أن يحصل على هذه النفس ، أن يقبض
عليها كسائر الأرواح التي في السجن . ولكنه لن يقدر على هذه النفس
بالذات التي سيستقبلها الآب في يديه . نفسى هذه لا يستطيع أحد أن
يأخذها منى . لى سلطان أن أضعها ، ولى سلطان أن آخذها أيضاً
(يوحنا ١٠ : ١٧ ، ١٨) .

**أن روح لعازر المسكين - عندما خرجت من جسده - حملتها الملائكة
(لو ١٦ : ٢٢) . وروح العذراء حملها المسيح أما روح المسيح فيحملها
الله الآب .**

يقول معلمنا متى الرسول أن المسيح « صرخ بصوت عظيم
(متى ٢٧ : ٥٠) وأسلم الروح . فإذا نفهم من عبارة « صرخ بصوت
عظيم ، » .

لاشك أنه من الناحية الجسدية كان في منتهى الانهك والأرهاق .
بعد كل تعب في حمل الصليب حتى وقع تحتة ، وبعد تعب الجلد والباطم
والصلب ، وبعد أن سال ما في جسده من دم وماء ، وبعد أن جف
حلقه حتى قال « أنا عطشان ، . كيف يصرخ بصوت عظيم وقد لصق
لسانه بحنكه ؟ !

**أن صراخه في ساعة الموت « بصوت عظيم » دليل على أن له
قوة أخرى فوق قوة الناسوت ، أى دليل على لاهوته .**

صراخه بصوت عظيم دليل على انتصاره ، لانه بالموت داس الموت وقهره . هذه الصرخة زعزعت الشيطان وقهرته .

حقاً كان في موت المسيح نصرة ، نصرة الفادى الذى استطاع أن يخلص العالم كله ، ويسحق رأس الحية ...
وفى عبارة « فى يدك استودع روحى ، طمأنينة عظيمة لنا من جهة خلود الروح . إنها لا تنتهى بالموت ... الموت بالنسبة لها مجرد عبور أو انتقال من حياة إلى حياة . انما المهم فى الموضوع كله هو : أين تستقر الروح بعد موتها . إن اطمأن الانسان على هذه النقطة ، استقبل الموت بفرح ، وقال : لى اشتاء أن انطلق ...

وانت ايها الاخ : هل انت مطمئن على مصير روحك ؟ هل عندما تلفظها — بعد عمر طويل — ستودعها فى يدى المسيح ، أو ستحملها الملائكة مثل روح لعازر ؟ أم سيقبض عليها الشيطان ويقول « إنها لى . كانت من جندى ، تعيش فى طاعى ... لذلك سأخذها لتكون معى ، يا للهول !! اطمئن يا أخى إذن أين ستذهب روحك .

وضع أمامك باستمرار تلك الأغنية الجميلة « **لتمت نفسى موت الأبرار ، ولتكن آخرتى كما خرتهم** » (عدد ٢٣ : ١٠) .

استودعها فى يديه من الآن بالبعد عن كل دنس ، وبالالتصاق كل حين بالرب . كن كملائكة الكنائس السبع الذين كان الرب ممسكاً بهم فى يده اليمنى . ضع نفسك أنت أيضاً فى يدى المسيح . وتأكد أنه

سيسمعك صوته الجميل وهو يغني « أنا أعطيتها حياة أبدية ، ولن تهلك
إلى الأبد ، ولا يخطفها أحد من يدي » . (يو ١٠ : ٢٨ ، ٢٩) .

وكلما تحاربك الخطية بفكر أو شهوة ، أسأل نفسك في صراحة :
هل روحي الآن في يدي الأب ...



يا أبتاه في يديك أستودع روحي

فاعلية هذه الكلمات

هذه الكلمات الغالية التي قالها المسيح على الصليب : فلنضعها نحن في قلوبنا ، ولتكن ذات فاعلية في حياتنا .. انقرأ كل كلمة منها في إمعان ، ورتفاعل معها . . .

وسنضرب الآن مثالا لتفاعل القلب مع كلمتين منها :

• يا أبتاه اغفر لهم . . .

لقد علمنا الرب أن نقول في الصلاة الربية « اغفر لنا خطايانا ، كما تغفر نحن أيضاً لمن أخطأ إلينا ، . فأصبحت عبارة « يا أبتاه اغفر لهم ، شرطاً لازماً للمغفرة ، لك أنت .

فلا يظن احد منكم انه يمنح المغفرة لغيره عندما يقول « يا أبتاه اغفر لهم » . في الواقع انه يأخذ المغفرة لنفسه . لان شرط الغفران الذي تأخذه انت ، هو ان تغفر لغيرك . « اغفروا يغفر لكم » (لو ٦ : ٣٧) . إن السيد المسيح عندما علمنا الصلاة الربية ، لم يعلق على أية طلبية منها سوى هذه الطلبية الواحدة ، وهكذا قال « فإنه إن غفرتم للناس

زلاتهم، يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم ،
لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم ، (متى ٦ : ١٤ ، ١٥) .

لذلك فإن لم تغفر أنت للآخرين ، إنما تمنع المغفرة عن نفسك ،
وليس عن الآخرين .

فإن قلت « يا أبته اغفر لهم » ، يرد عليك قائلاً « وأنا أيضاً
اغفر لك » . إذن فمغفرتك للناس أمر أنت مضطر إليه ، لكى تنال
المغفرة أنت أيضاً ... فالأفضل إذن ان تغفر من أجل المحبة - كما
فعل المسيح - بدلا من ان تغفر اضطرارا من أجل ان يغفر لك ...

من الجائز أن هذه المغفرة تتعبك من الداخل ، ولا تكون سهلة
على قلبك ... كيف اغفر لمن فعل بي كذا وكذا ، وأهاننى وأتعبنى
وألصق نمسى بالتراب ؟ أقول لك : احتمل ... أنت فى الواقع فيما
تعطى لهذا الإنسان المغفرة ، إنما تعطىها أيضاً لنفسك . فاغفر ، لكى
يغفر الرب لك . وأقول مرة أخرى : ليتك تغفر عن حب ، وليس
عن اضطرار .

السيد المسيح على الصليب تقدم لياخذ مغفرة من الآب عن كل
خطايا البشر ، فغفر لصالحيه أولا .

وكأنه يقول للآب « سأغفر لهم كل ما فعلوه بى ، لكى تغفر أنت
لى » ... ليس لكى يغفر له خطاياهم ، فالمسيح بلا خطية (يوحنا ٨ : ٤٦) .
ولكن يغفر له الخطايا التى يحملها ، لأنه « حمل الله الذى يحمل خطايا

العالم كله ، (يوحنا ١ : ٢٩) ، إذ قد وضع عليه إثم جميعنا ،
(أش ٥٣ : ٦) .

**قد تقول : كيف اغفر كل ما فعلوه بي ... يكفي انى صامت
لا ارد الشر بالشر ...**

لا يا أخى ... أن هذا الصمت لا يكفي . يجب أن تنتصر على
نفسك من الداخل ، وتغفر .

**وعندما تنتصر على نفسك من الداخل ، وتغفر ، تكون قد صعدت
على الصليب .**

وعندما تصعد على الصليب . تستطيع أن تقول : لا عرفه وقوة
قيامته وشركة آلامه ، (في ٣ : ١٠) . لقد دخلت فى شركة آلامه ،
صعدت معه على الصليب وغفرت للمسيئين لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون .

اليوم تكون معى فى الفردوس :

**قل لنفسك : لى اسمع هذا الوعد من المسيح ، ينبغى أن أقول
كما قال اللص « نحن بعدل جوزينا » ...**

إن اللص اليمين لم يعتف من الآلام التى وقعت عليه ، إنما طلب
مغفرة فى الأبدية . فكأن مثله ، ولا تكن مثل اللص الذى طلب أن
ينزل المسيح من على الصليب وينزله معه ، يخاص نفسه وإيانا ، ...

مسكين هذا الجاهل ، إن فى نزول المسيح عن الصليب هلاكاً للعالم

أجمع . لو كان هذا اللص يسعى لخلاص نفسه ، لقال : انتظر يا رب
قليلا على الصليب ، من أجلى ، لكى لا أهلك ... أرجوك يا رب ،
احتمل من أجلى ، احتمل حتى الموت لتدفع ثمن خطاياى ...

**كن يا أخى روحانيا كاللص اليمين الذى فكر فى ابديته ، ولا تكن
جسدانيا كاللص الشمال الذى فكر فى خلاص جسده فقط ..**

ولا تهرب من الضيقات التى تقع عليك ، بل فى كل ضيقة قل عبارة
اللص التائب : نحن بعدل جوزينا ..

**وكما تطلب من الرب أن يذكرك فى ملكوته ؛ اذكره أنت أيضا
على الأرض ، والصق قلبك بحبته ...**

ولا تطلب أن يذكرك الرب فقط على الأرض بل فى ملكوته .
ان كان فى الأرض مسامير أو صليب ، لا يهم . . المهم هو مصيرك فى
الملكوت .

**لا يهم أن نقضى حياتنا الأرضية هنا على الصليب ... إذا المهم أن نكون
مع الرب فى فردوسه ...**

لا تفكر أن تنزل من على صليبك ، بل احتمل واصبر .

لقد قال الرب للص : اليوم تكون معى فى الفردوس ، ، لأنه قبل
إيمانه واعترافه وتوبته .

**وانت ، هل قدمت للرب اعترافا وتوبة وإيمانا ، حتى تستحق أن
تكون معه فى الفردوس ؟**

إن لم تكن قد فعلت ، فابدأ من الآن ...

اشترك في الآلام معه ، لكي تتمجد أيضاً معه .

وتذكر ان عبارة « اليوم تكون معي في الفردوس » هي عبارة

مشجعة جدا ، تمنع اليأس ، وتهب الرجاء .

إن كان اللص قد نال الوعد بالفردوس ، على الرغم من كل

شروره وخطاياها ، فلا تيأس أنت مهما كانت خطاياك .

وإن كانت توبة اللص قد قبلت ، وهو في آخر ساعات حياته ،

فلا تيأس أنت إن كانت حياتك السابقة كلها قد أكلها الجراد

وضاعت هباءاً .

عبارة « اليوم تكون معي في الفردوس » تعطينا أيضاً مثالا

عمليا لسرعة استجابة الصلوات .

حالمًا قال اللص « أذكرني يارب » ، أتاه الرد سريعاً « اليوم

تكون معي في الفردوس » ... إذن لا تمل من الصلاة والطلبية ،

ولا تبرح من فمك عبارة « أذكرني يارب » ... قلها في كل حين ،

ومن أعماق قلبك ، وبايمان . وثق أنه سيستجيب .

لا تترك العدو يحاربك بالحقول ، حتى لا تطلب . ان العشار في عمق

خجله ، قال « ارحمني يارب » . واللص وهو عارف بخطيئته ، قال

« اذكرني يارب » ..

هكذا نحن أيضاً ، مع أن الخزي يغطي وجوهنا بسبب خطايانا ،

ومع أنه ليس لنا وجهه نرفعه إلى الرب ، وليست لنا دالة ولا حجة

ولا معذرة ، إلا أننا من أجل خنائه هو ومحبته وغفرانه ، سنظل نقول
عبارة « أذكرني يارب ، ، إلى أن نتال منه الوعد بالفردوس ...

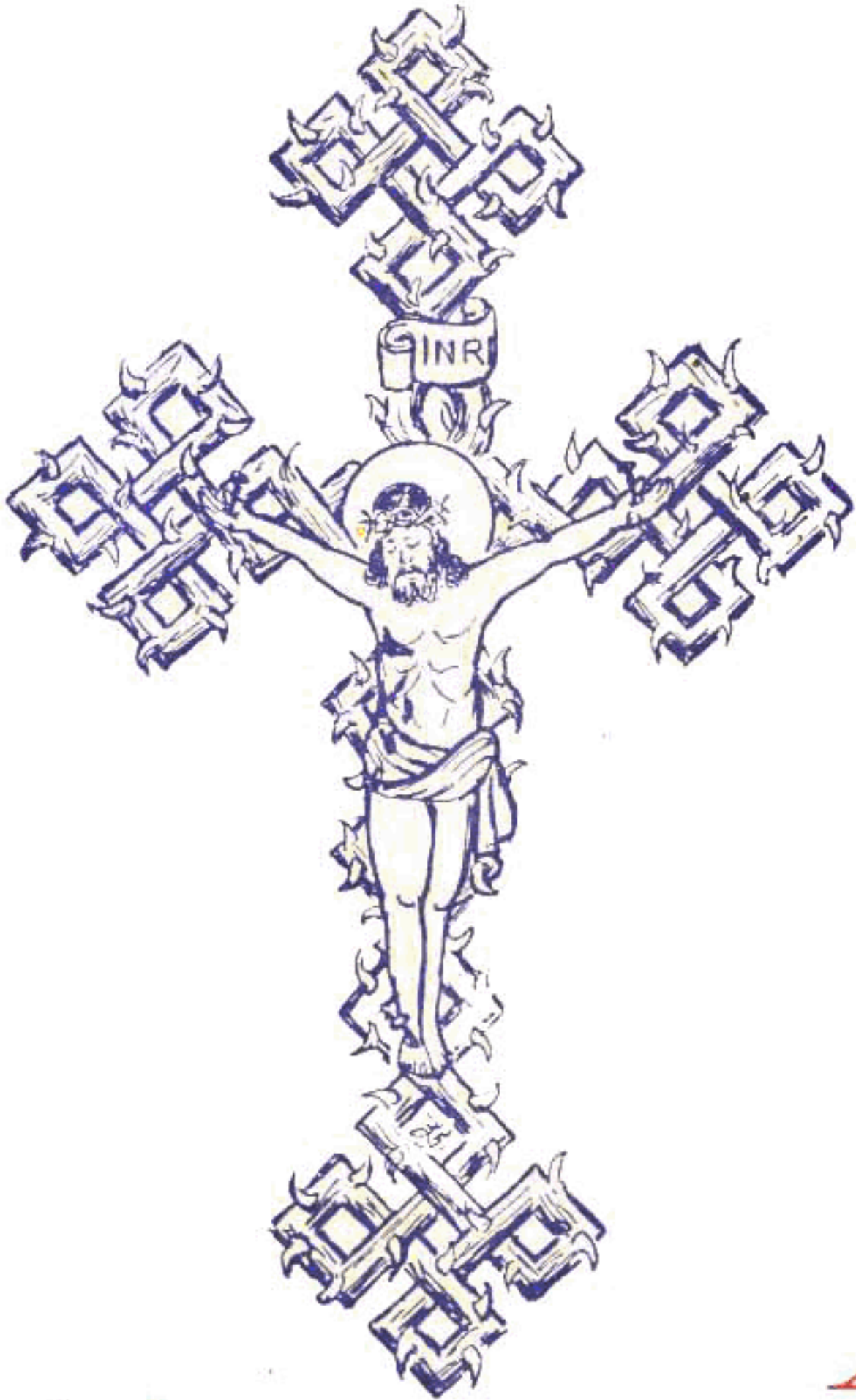
**ان الرب لم يكتف فقط بان يعطى اللص وعدا بالفردوس ، وانما
بالاكثر اعطاه وعدا ان يكون معه . لان اهم ما في الفردوس ان تكون
مع الرب ...**

نعم ، إن الفردوس بدون الرب لا قيمة له ، ولا نعم فيه ،
ولا يصح أن يدعى فردوساً ... إن النعيم الحقيقي هو أن نكون مع
الرب ... يكون الرب وسط شعبه . يتمتعون به ، بحبه ، وبصحبه ،
وبنوره ... وبأبوته ، وحنانه ...

لذلك لا تطلب الفردوس ، بل اطلب الرب نفسه ...
أطلب أن تكون معه ، تتأمل وجهه المفرح البشوش ، كما قال
داود : « لوجهك يارب التمس . لا تحجب وجهك عني ، ...
والعجيب في قصة هذا اللص ، أنه أخذ وعداً بالوجود مع الله في
الفردوس ، على الرغم من أنه لم يعيش مع الله على الأرض ...

**بل مجرد ساعات قليلة قضائها مع الرب حسنا ، استطاعت أن تمنحه
صعبة الرب الى الأبد . لأنها كانت ساعات ذات عمق ، عمق شديد ،
وصل به الى أعماق قلب الله ...**

ليس المهم إذن في طول الوقت الذي تقضيه مع الرب ، بل في
عمقه . كلمة واحدة بعمق تقدر كثيراً في فعلها ... قل هذه الكلمة ...
وعش في عمق الصلة ، لتصل إلى أعماق الله ...



مطبعة الأنباروليس ت ٨٢٠٦٨١

التمن ٨

